السياق وأثره فيما تقدّم في آية وتأخّر في أخرى من أسماء الله وصفاته

أ.محمود محمد إسماعيل سخيم

قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الحديدة

ملخص البحث:

اشتمل البحث على تمهيد وفصلين وخاتمة. في التمهيد تم التعريف أولاً بالسياق في اللغة، وفي الاصطلاح عند القدامى، والإشارة لأقسامه عند المحدثين، ثم التعريف بالسياق القرآني. ثانياً: التعريف بالتقديم والتأخير من ناحية ما قُدِّم في آية وأُخِّر في أخرى، منحصراً بما جاء في القرآن الكريم من أسماء الله وصفاته.

وفي الفصل الأول: كان الحديث على التقديم والتأخير فيما اقترن من أسماء الله وصفاته، متناولاً فيه: تقديم صفة الحليم على الغفور وتأخيره، وتقديم صفة الرحيم على الغفور وتأخيره، وتقديم صفة العليم على الحكيم وتأخيره.

وفي الفصل الثاني: تناول التقديم والتأخير في صفات الله وما اقترن معها بلفظ العمل والفعل والصنع، متناولاً فيه: تقديم صفة الخبير على العمل وتأخيره، وتقديم صفة البصير على العمل وتأخيره، وتقديم صفة العليم على العمل والفعل والصنع وتأخيره. وأخيراً الخاتمة واشتملت على أهم النتائج وأبرز التوصيات.

Summary of the research.

The research includes introduction, two chapters and conclusion.The introduction then the definition. First, in the language and in the context of the old people. At reference to its parts among modern people then the definition of Quran's context.

Second, definition of initiation and delaying regarding what initiate in one verse and delaying in another. Restricted of what it comes in Holy Quran of Allah's names and qualities.

In first chapter: talking about initiating and delaying regarding Allah's names and qualities, discussing deeply; the initiating of the quality of Alhaleem before and Algafoor. Also, the quality of Alraheem before and after Algafoor. As well as, the quality of Alaleem before and after Alhakeem.

In second chapter: talking about initiating and delaying in the qualities of Allah regarding the work, the act and the making up, delaying with initiating and delaying in the quality of Alkhabeer on the work . Also, initiating and delaying the quality of Albaseer on the work. As well as, initiating and delaying the quality of Alaleem on the work, the act and the making up. Finally, the conclusion includes the most important results and prominent recommendations.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد فإن شرف العلوم بشرف موضوعها، وأي علم أعظم وأشرف من العلم الذي يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى أسماء الله وصفاته، ومن هذا المنطلق رأى الباحث أن يكون هذا البحث في أسماءه تعالى التي وردت في كلامه؛ ليسهم في إظهار معاني تلك الأسماء في سياقها من حيث التقديم والتأخير فما كان مؤخراً منها في موضع قدمه في موضع آخر والعكس؛ ليظهر جانباً من جوانب إعجازه، وليدحض ما أثير من شبهات حول القرآن الكريم في التقديم والتأخير لهذه الأسماء والصفات.

أهمية البحث:

- يُسهم في معرفة مقاصد القرآن من خلال التقديم والتأخير في أسماء الله وصفاته.
- يظهر جانباً من جوانب الإعجاز البياني في ثنائي التقديم والتأخير من خلال السياق.

- إظهار معاني أسماء الله الحسنى في المقام الذي أتت فيه.
- دفع الشبهات التي أثارها المستشرقون حول تركيب اللفظ في القرآن الكريم من خلال التقديم والتأخير لأسماء الله وصفاته.

أهداف البحث:

- إظهار عظمة القرآن وأسلوبه البلاغي من خلال التقديم والتأخير في أسماء الله وصفاته.
- كشف دور السياق في تجلي المعنى فيما تقدم وتأخر من أسماء الله وصفاته في القرآن الكريم.
- إظهار اعتناء المفسرين بهذا الأسلوب، والكشف عما هو كامن في كتب التفسير، ومعرفة النكت التي أضافوها فيه، مبيناً مدى اهتمامهم بالسياق في تأدية المعنى.

خطة البحث:

ويتضمن تمهيد وفصلين وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد. وفيه:

أولاً: التعريف بالسياق

ثانياً: التعريف بالتقديم والتأخير

الفصل الأول: التقديم والتأخير فيما اقترن من أسماء الله وصفاته. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقديم صفة (الحليم) على (الغفور) وتأخيرها

المطلب الأول: تقديم صفة (الحليم) على (الغفور)

المطلب الثاني: تأخير صفة (الحليم) على (الغفور)

المبحث الثاني: تقديم صفة (العليم) على صفة (الحكيم) وتأخيرها

المطلب الأول: تقديم صفة (العليم) على صفة (الحكيم)

المطلب الثاني: تأخير صفة (الحكيم) على صفة (العليم).

المبحث الثالث: تقديم صفة (الرحيم) على (الغفور) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (الرحيم) على صفة (الغفور).

المطلب الثاني: تقديم (الرحيم) على (الغفور).

الفصل الثاني: التقديم والتأخير فيما اقترن مع الصفة بلفظ العمل أو الفعل أو الصنع.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقديم صفة (الخبير) على (العمل) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (الخبير) على (العمل)

المطلب الثاني: تقديم (العمل) على وصف (الخبير)

المبحث الثاني: تقديم صفة (البصير) على (العمل) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (البصير) على (العمل).

المطلب الثاني: تقديم (العمل) على صفة الله (البصير).

المبحث الثالث: تقديم صفة (العليم) على (الفعل والعمل والصنع) وتأخيره.

المطلب الأول: تقديم صفة (العليم) على (الفعل والعمل والصنع).

المطلب الثاني: تأخير صفة (العليم) على (العمل).

أولاً: التعريف بالسياق:

أولاً: السياق في اللغة: ورد السياق في اللغة بعدة معان كما يأتي:

١. التوالي والتتابع والانتظام. يقال: تساوقت الإبل تساوقاً، إذا تتابعت[١]، والسوق يعني: حَدْوُ الشيء[٢]، ويقال: "جئتك بالحديث على سَوقِهِ: على سرده"[٣]، والسرد: التوالي والتتابع، "سَرَدَ الحديث والقراءة: جاء بهما على ولاء"[٤]، وفي المعجم الوسيط[٥]: "سياق

(١) انظر: محمد بن أحمد الأزهري. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ٢٣٤/٩.

(٢) أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. مادة (س و ق)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بلد النشر.د، دار الفكر، ط.د، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م، ١١٧/٣.

(٣) الزمخشري. أساس البلاغة. مادة (س و ق)، تحقيق: باسل السود، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م، ص٤٨٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٢٩٣.

(٥) إبراهيم مصطفى، وآخرون. تحقيق: مجمع اللغة العربية، بلد النشر.د، دار الدعوة، ط.د، ٤٦٥/١.

الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه".

٢. الاتصال والتسلسل: يقال: "ولدت فلانةٌ ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي: بعضهم على أثر بعض، ليست بينهم جارية".(١)

٣. الجمع: يقال: رأيت فلاناً يسوق، أي ينزع عند الموت، والسياق: نزع الروح(٢)، فكأن الروح تجمع وتنساق لتخرج من البدن.(٣)

٤. السهولة واللين: ومنه جاء "السّويق [سمي] لانسياقه في الحلق من غير مضغ".(٤)

ثانياً: السياق في الاصطلاح عند القدامى والمحدثين:

أولاً: عند القدامى:

يمكن إيجاز اهتمام السابقين بالسياق، فيما يأتي:

١. إن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل، أو قيل بشأنها.(٥)

٢. اعتبار مراعاة السياق في استنباط الأحكام، والتفريق بين المتشابهات، وضرورة اعتباره في كلام الله.(٦)

٣. إطلاق العلماء على السياق بمعنى الغرض الذي ورد الكلام لأجله.(٧)

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مادة (س و ق)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م، ١٤٩٩/٤.

(٢) الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ١٤٩٩/٤.

(٣) انظر: المبارك بن محمد الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: ظاهر الزاوي، محمود الطناجي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط.د، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م، ٤٢٤/٢.

(٤) الحسين بن محمد – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن. دمشق، دار القلم، ط.د، ص٤٣٦.

(٥) ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي. دلالة السياق – بحوث علمية. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤ه، ص٥٠.

(٦) انظر: إسراء أحمد محمود. توظيف مفهوم السياق القرآني في التوجيه النحوي – دراسة في تفسير روح المعاني للآلوسي. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. عثمان رحمن حميد الأركي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة ديالى، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢م. ص١٦.

(٧) انظر: المثنى عبد الفتاح محمود. نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية. عمان، دار وائل، ط١، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م، ص١٤.

٤. يطلقون السياق ويريدون به نفس النص.[١]

٥. مراعاة مكانة الكلمة في النظم، ومراعاة السابق لها، واللاحق.

ثانياً: عند المحدثين:

اختلف الباحثون المحدثون في تعريف السياق بناءً على تقسيمه عند القدامى، وعليه سيتم التعريف بنوعي السياق ليتضح موطن خلاف المحدثين في تعريفه.

أقسام السياق:

أولاً: السياق اللغوي:

هو: "الوعاء النحوي، أو البلاغي، الذي جاءت فيه الكلمة، أو العبارة في فهم المعنى بالنظر إلى الأسلوب الذي اكتفت العبارة به، وبالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام".[٢]

من خلال التعريف فإن أهم المعايير التي يمكنها تحديد السياق اللغوي هي[٣]: اختيار اللفظ المناسب، وترتيب الألفاظ وتتابعها، ونظم الألفاظ، واختيار الصيغ الصرفية المناسبة، وتفاعل اللفظ مع غيره من الألفاظ.

ثانياً: السياق غير اللغوي:

"هو جملة العناصر غير اللغوية المكونة للموقف الكلامي من شخصية المتكلم، والسامع، وعلاقات الزمان والمكان، وسائر الظروف

---

(١) فهد بن شتوي بن عبد المعين. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى. (رسالة ماجستير)، بإشراف: د. محمد بن عمر بازمول، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م، ص١٨.

(٢) ياسر أحمد الشمالي. السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي. مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانون، الأردن، مج: ٢٨، العدد: ١، ٢٠١١م، ص٥٨.

(٣) سمية محامدية. دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشراف: د. ليلى كادة، جامعة محمد خيضرة بسكرة - الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص١٢: ١٤.

المحيطة، والتي تسهم في تكوين معنى الكلام وتترك أثرها فيه".[١]

من التعريف يتبين لنا أن عناصر السياق غير اللغوي، هي[٢]: حركات الشخوص وسلوكها، والإشارات أو الإيماءات وأثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك[٣]، وطبيعة النص[٤]، والظروف والملابسات المحيطة به، والزمان أو المكان، والبيئة، وعادات العرب.

ومن نوعي السياق، نلحظ بأن الأول يُعنى بدراسة النص من خلال ألفاظه، وتراكيبه، نحوياً أو صرفياً أو معجمياً أو دلالياً. والثاني يُعنى بدراسة الظروف والملابسات التي تحيط بالنص، والزمان والمكان والعادة والعرف، بمنأى عن اللفظ والتركيب.

ثالثاً: تعريف السياق القرآني:

اختلف الباحثون في تعريف السياق القرآني بناءً على الاختلاف في نوعي السياق إلى قولين:

الأول: هو: "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها"[٥]، وهذا تعريف من قصر دلالة السياق على السياق اللغوي فقط.

---

(١) محمد رفاعي. السياق في كتب التفسير - الكشاف وابن كثير نموذجاً. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. مصطفى عثمان، جامعة حلب، كلية الآداب، ص١٧.

(٢) نادية رمضان النجار. اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢١١، ٢١٢.(بتصرف).

(٣) محمد داؤد، إكرام الطيب. سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص. (بحث) دراسة تطبيقية في تفسير القرآن الكريم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد: ٦، فبراير ٢٠١٣م، ص١٥.

(٤) إسماعيل يوسفي. السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢م، ص٣٨.

(٥) عبد الرحمن المطيري. السياق القرآني وأثره في التفسير. دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. خالد بن عبد الله القرشي. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م، ص٦٥.

الثاني: هو: "مجموعة ما يحيط بالنص من عناصر مقالية ومقامية توضح المراد، وتبين المقصود".[١] وتشمل دلالة السياق في هذا التعريف السياق اللغوي وغير اللغوي.

تحرير محل النزاع:

يتفق الباحثون على أهمية السياق غير اللغوي، وأن فهم السياق اللغوي مترتب عليه، ولا يفهم إلا به، ومحل الخلاف في دخول السياق غير اللغوي تحت السياق اللغوي، واعتباره شقيقاً له.

والذي نرجحه أنهما كجناحي طائر، لا يمكن اعتماد أحدهما وإهمال الآخر، للأسباب الآتية:

١. اعتماد المفسرين على سياق الآية وسباقها. كما سيتبين في ثنايا البحث.
٢. الاقتصار على السابق واللاحق من اللفظ، تفسير لغوي وليس بياناً لدلالة السياق، وكذلك بالنسبة إلى بيان الجملة في الآية فهو بيان لظاهرها من خلال تركيبها، أما فهم سياقها فلا يتضح إلا إذا نُظِرَ إلى هذه الجملة من خلال العبارات التي جاء أسلوب الخطاب بها. والله أعلم.

وبهذا يكون تعريف السياق: "هو الدلالة الحاصلة من مراعاة ما يحيط باللفظ أو التركيب أو النصِّ من كلام سابق أو لاحق قد يشمل النصَّ كلَّه أو الكتاب بأسره، وما يحيط به من ملابسات غير لفظية، أو ظروف تتعلق بالمخاطِب والمخاطَب وطبيعة موضوع الخطاب وغرضه والمناسبة التي اقتضته والزمان والمكان الذي قيل فيه الكلام".[٢]

ثانياً: التقديم والتأخير:

سيقتصر الباحث في تعريف التقديم والتأخير على (ما تقدم في آية وتأخر في أخرى)؛ كون هذه الدراسة تُعنى بالحديث عما ورد في القرآن

---

(١) إبراهيم أصبان. السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة. مجلة الإحياء، العدد: ٢٥، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٧م. ص٥٤.

(٢) محمد سيف. دلالة السياق في القصص القرآني. صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ط(بدون). ص١٨.

الكريم من أسماء الله وصفاته من هذا النوع، ولتعدد أنواع التقديم والتأخير.

ويُطلَق على هذا النوع: (اختلاف النظم في العبارات ذات المعنى الواحد) [١]، و(ما قُدِّم في آية وأُخِّر في أخرى)[٢]، و(التشابه بالتقديم والتأخير)[٣]، و(تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل).[٤] والتقديم والتأخير التناصّي[٥]، والتقديم والتأخير (غير الاصطلاحي)[٦] ويتولّد هذا النوع من التقديم والتأخير، من علاقة تنشأ بين النسق اللفظي للمحاكاة البسيطة لترتيب الأشياء، والنسق اللفظي المخالف لهذا الترتيب[٧].

ومن خلال النظر في كتب المتشابه اللفظي، والبلاغة القرآنية، لم نقف على تعريف لهذا النوع من التقديم والتأخير، لذا فإننا سنضع حداً نحسبه أن يكون جامعاً مانعاً لهذا النوع.

وهو: **(تقديم حرف، أو كلمة أو جملة أو أكثر، في موضع ما، وتأخيره في موضع آخر، لغرض يقتضيه سياق المقال والمقام، أو أحدهما)**.

---

(١) انظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. (رسالة دكتوراة)، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ه – ١٩٩٢م، ١٤٦/٢.

(٢) انظر: الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٦ه – ١٩٥٧م، ٢٨٤/٣.

(٣) انظر: فهد شتوي. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى. ص١٠٣.

(٤) انظر: كريم أحمد جواد التميمي، عدوية فياض علوان. بدائع التعبير القرآني وخصوصيته في أمثلة من الآيات القرآنية. مجلة الفتح، العدد: الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م، ص١٣٤.وللاستزادة انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. عمان، دار عمار، ط١، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م، ص٢٦١.

(٥) التناصّ: مصطلح حديث له جذور في مباحث التشابه والاختلاف ذات العلاقة بترتيب الأشياء دلالياً ومرجعياً. انظر: تومان غازي، خالد كاظم. التقديم والتأخير في محرمات النكاح في القرآن الكريم. مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد: ١٣، ايلول ٢٠١٣م. ص٥٣٨.

(٦) انظر: عبد العظيم المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. ١٤٦/٢.

(٧) تومان غازي، خالد كاظم. التقديم والتأخير في محرمات النكاح في القرآن الكريم. ص٥٣٩.

شرح التعريف:

تقديم حرف: الحرف أحد حروف الهجاء، والمراد به هنا حرف الجر المتصل بكلمة، أو المنفصل.

أو كلمة: والمراد بالكلمة هنا الاسم المفرد أو الجمع، ويشمل الضمائر والظروف.

أو جملة: ويراد بهذا القيد الجملة الاسمية أو الفعلية أو أشباه الجمل.

أو أكثر: يراد به ما كان من قبيل تقديم المتعاطفات بعضها على بعض وتأخيرها، أو ما كان من قبيل الأخبار أيضاً.

لغرض يقتضيه سياقي المقال والمقام: قيد احترز به مجيء التقديم والتأخير غير الاصطلاحي لسبب غير السياق. ويشمل السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي.

أو أحدهما: إما سياق المقام وإما سياق المقال.

الفصل الأول: التقديم والتأخير فيما اقترن من أسماء الله وصفاته.

المبحث الأول: تقديم صفة (الحليم) على (الغفور) وتأخيرها

المطلب الأول: تقديم صفة (الحليم) على (الغفور):

تقدمت صفة الله (الحليم) في موضعين:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	الإسراء: ٤٤
٢	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	فاطر: ٤١

تتقدم المغفرة على الحلم؛ للإشعار بالتقصير الذي يحصل من المكلف في بعض الأفعال المأمور بأدائها، أو لما يكسبه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة، لكنها قد تتأخر، وهو ما نرمي إلى بيانه في هذا الموضع.

ففي آية الإسراء [٤٤]، جاءت الصفتان (ﷺ) عقب تسبيح الأشياء في السموات والأرض، وعدم فقه الإنسان دلالة ذلك التسبيح، فهي تُخبر أن الجهل بتلك الدلائل، وعدم فقهنا إياها يُعدّ ذنباً، فترتب على ذلك الذنب حلمه –سبحانه وتعالى- تجاه جهلنا ومغفرته لنا؛ نتاج عدم تبصرنا فقه ذلك التسبيح.

فيا تُرى هل حلم الله ومغفرته لنا لأننا لم نفقه دلالة ذلك التسبيح في تلك الجمادات؟ أم لأننا لم نفهم لغة تسبيحها بألفاظها ولغتها؟

يقول الرازي(١): فذكر الحليم والغفور؛ يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم؛ في حال كان التسبيح دالاً على كمال قدرة الله تعالى وحكمته، ولغفلتهم وجهلهم ما عرفوا وجه دلالة ذلك. أما لو حملنا هذا التسبيح على أن هذه الجمادات تسبح الله بأقوالها وألفاظها، لم يكن عدم الفقه لتلك التسبيحات جرماً ولا ذنباً، وإذا لم يكن كذلك لم يكن قوله: (حَلِيمًا غَفُورًا) لائقاً بهذا الموضع.

وأجاب الزركشي والسيوطي(٢)، -على ما احتمله الرازي ونفاه- بأنه إذا جعلنا التسبيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها؛ فمعناه الأشياء كلها تسبحه وتحمده ولا عصيان في حقها، وأنتم تعصون، فالحلم والغفران للتقدير في الآية، وهو: العصيان، وفي الحديث: "مهلاً عن الله مهلاً، فإنه لولا شبابٌ خشّع، وبهائم رتّع، وشيوخ ركّع، وأطفال رضّع؛ لصبّ عليكم

(١) انظر: محمد بن عمر بن الحسن - الفخر الرازي. مفاتيح الغيب. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م ، ٣٤٨/٢٠.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن. ٩٣/١. وعبد الرحمن بن أبي بكر – جلال الدين السيوطي. معترك الأقران في إعجاز القرآن. بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، ٣٨/١.

العذاب صبّاً"[١]. ويضيف الزركشي[٢]أمراً آخراً -لتقديم الحلم- هو: لما تقدم الآية، قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾، أي: إنه كان لتسابيح المسبحين حليماً عن تفريطهم، غفوراً لذنوبهم، ألا تراه قال في موضع آخر: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣]، وكأنها اشتملت على العفو عن ترك البحث المؤدي إلى الفهم؛ لما في الأشياء من العبر وأنتم على العصيان. أو يريد بها الأشياء كلها تسبحه ومنها ما يعصيه ويخالفه فيغفر عصيانهم بتسابيحهم"، فقدم الحليم تناسباً مع السياق الذي وردت فيه الصفة. وقيل: "هذا التذييل يأبى كون الخطاب للمشركين؛ لأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يتجاوز عن جهلهم وإشراكهم، والظاهر أن المخاطب المؤمنون وعدم فقههم للتسبيح الصادر من الجمادات كناية"[٤].

أما آية فاطر [٤١]، فهي استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك، فهو يمسك السماوت والأرض كراهة زوالهما، غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم، حيث امسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً[٥]، كما

---

(١) أخرجه البيهقي، في السنن الكبرى، من رواية أبي هريرة وغيره مرفوعاً وضعفه، كتاب: الجمعة، باب: من صلى في الزلزلة بزيادة عدد الركوع والقيام قياساً على صلاة الخسوف، برقم: ٣: ٣٤٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ط١، ٣٤٦/٣. وفي إسناده إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك وهو ضعيف، قال يحيى: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: ابن الملقن. البدر المنير. ١٥٨/٥. وانظر: محيي الدين النووي. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام. تحقيق: حسين الجمل، لبنان – بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م، ٨٧٥/٢.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن. ٩٣/١.

(٣) الشورى: ٥.

(٤) محمود أبو الفضل الآلوسي. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، ١٤٠٤ه، ٨٣/١٥.

(٥) انظر: محمود بن عمرو الزمخشري. الكشاف. بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ه، ٦٢٧/٣؛ ومحمد بن يوسف بن علي - أبو حيان. البحر المحيط. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م، ٣٠٤/٧؛ عبد الله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي. مدارك التنزيل

بيّن ذلك في قوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴾[١]، فيأتي جو التصوير في الآية متناسقاً مع التعقيب (إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) فهو يملك هذه القوة ولكنه حليم، وهو غفور مع كل هذه العظمة والقدرة[٢]، فترك تعذيبهم، وعاملهم بالحلم والإمهال[٣]، وإلا كانوا يستحقون إسقاط السماء وانطباق الأرض عليهم[٤]؛ لعظم جرمهم المقتضي لتعجيل العقوبة، فلا يُتَوهم أن المقام يقتضي ذكر القدرة، لا الحلم والمغفرة[٥].

وبهذا يكون السياق في آية الإسراء، في قيام كل ما في الوجود بالتسبيح، في حين قيام البشر بالعصيان والجحود، فاقتضى تقديم صفة الحليم؛ لحلمه عمن جهله وأقام على معصيته. أما آية فاطر، فقد كان السياق في شرك من أشرك؛ فبيّن –سبحانه- أنه لا ينهي هذا العالم بهم، وأنه حليم يمهل الناس فلا يؤاخذ بنواصيهم إلى الحساب والجزاء إلا في الأجل المعلوم؛ ليدع لهم الفرصة للتوبة والعمل والاستعداد، وتنبيه للغافلين لاقتناص الفرصة قبل أن تذهب فلا تعود[٦]، فقدم صفة الحلم لهذا المعنى.

وحقائق التأويل. تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م، ٢٧٦/٣؛ ومحمد بن محمد بن مصطفى - أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – تفسير أبي السعود. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، ١٥٦/٧.

(١) مريم: ٩٠ – ٩١.

(٢) انظر: عبد السلام أحمد الراغب. وظيفة الصورة الفنية في القرآن. حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م، ص٢٠٦.

(٣) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. تونس، الدار التونسية، ط(بدون)، ١٩٨٤ه، ١١٥/١٥.

(٤) انظر: الفخر الرازي. التفسير الكبير. ٢٤٨/٢٦.

(٥) انظر: الآلوسي. روح المعاني. ٢٠٥/٢٢.

(٦) انظر: سيد قطب. في ظلال القرآن. بيروت – القاهرة، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢ه، ١٥٤/٦.

المطلب الثاني: تأخير صفة (الحليم) على (الغفور)

وتأخرت في أربعة مواضع:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾	البقرة: ٢٢٥
٢	﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾	البقرة: ٢٣٥
٣	﴿ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾	آل عمران: ١٥٥
٤	﴿ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾	المائدة: ١٠١

أما تقديم الـ(غفور) على الـ(حليم)، فالصفتان "تدلان على توسعة الله على عباده"[(١)]، "فيما قصروا فيه"[(٢)]، والسياق الذي تقدمهما، نجده في فعال قصّر الإنسان في أدائها كما يجب، فاستلزم طلب المغفرة أولاً، فقدمها. ففي آيتي البقرة [٢٢٥]، [٢٣٥]، رتَّب الشارع في الأولى المؤاخذة على ما يكسبه من القلب من الأقوال والأفعال الظاهرة، أما اللغو في الأَيمان وما سواها من الأقوال والأفعال التي لم يعلم بها القلب، ولم يتعمدها، فإنه يغفرها ولا يؤاخذ بها، فقدم المغفرة؛ لأنها ستر الذنوب[(٣)]، لمن تاب، وحليم لا يعجل بالعقوبة[(٤)]. وفي الآية الأخرى لعل

(١) أبو حيان. البحر المحيط. ١٩١/٢.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. تونس، الدار التونسية، ط(بدون)، ١٩٨٤ه، ٣٨٤/٢.

(٣) انظر: فضل حسن عباس، وابنته سناء. إعجاز القرآن. عمان، دار النشر، ط(بدون)، ١٩٩١م، ص٢٢٠

(٤) انظر: الزمخشري. الكشاف. ٣١٢/١؛ والفخر الرازي. التفسير الكبير. ٣٩٧/٩؛ وعبد الله بن عمر البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١٤١٨،١ه، ٣٧١/١؛ والنسفي. مدارك التنزيل. ١٢٧/١؛ محمد بن عرفة. تفسير ابن عرفة المالكي. تحقيق: حسن المناعي، تونس،

المراد من المغفرة التجاوز، لا مغفرة الذنب؛ لأن التعريض ليس بإثم، أو يراد به المعنى الأعم الشامل لمغفرة الذنب والتجاوز عن المشاق[١].

أما سرّ اقتران الغفور بالحليم؛ فـ"لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة"[٢].

وفي آية آل عمران [١٥٥]، قدم المغفرة لتقرير عفوه، مبالغة في مغفرة الذنوب، والإغضاء عن المعاصي، وقد بين أنه عفا عنهم، ولم يؤاخذهم بعقوبة ما فرطوا[٣]. وفي آية المائدة [١٠١]، لما ظهرت المخالفات بالسؤال عن أشياء إن تبد لهم تسوءهم؛ نهاهم عن هذا السلوك، وعفا عنهم، فقدم المغفرة.[٤]

المبحث الثاني: تقديم صفة (الرحيم) على (الغفور) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (الرحيم) على صفة (الغفور):

تقدم اسم (الغفور) مُنكّراً ومُعرّفاً، فورد مُعَرّفاً بـ(ال) في سبعة مواضع، أمّا منكّراً، فقد ورد بالنصب في خمسة عشر موضعاً، وبالرفع في سبعة وأربعين موضعاً، وبالجر في موضع واحد، كما يأتي:

أولاً: ما تقدم معرّفاً بـــ(ال):

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	يونس: ١٠٧
٢	﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	يوسف: ٩٨
٣	﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الحجر: ٤٩

مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط١، ١٩٨٦م، ٦٥٠/٢.

(١) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٤٥٦/٢.

(٢) المصدر نفسه. ٣٨٤/٢.

(٣) انظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم. ٨٦/٣؛ إسماعيل حقي. روح البيان. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، ٣٥٩/٢؛ والآلوسي. روح المعاني. ٤١/٧.

(٤) انظر: الآلوسي. روح المعاني. ١٠٤/٤.

٤	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	القصص: ١٦
٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	الزمر: ٥٣
٦	﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	الشورى: ٥
٧	﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	الأحقاف: ٨

ثانياً: ما تقدم منكّراً منصوباً:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ٢٣
٢	﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ٩٦
٣	﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ١٠٠
٤	﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ١٠٦
٥	﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ١١٠
٦	﴿ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ١٢٩
٧	﴿ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء: ١٥٢
٨	﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الفرقان: ٦
٩	﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الفرقان: ٧٠
١٠	﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الأحزاب: ٥
١	﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ	الأحزاب: ٢٤

١	عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	
١٢	﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الأحزاب: ٥٠
١٣	﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الأحزاب: ٥٩
١٤	﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الأحزاب: ٧٣
١٥	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الفتح: ١٤

ثالثاً: ما تقدم منكّراً مرفوعاً:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة: ١٧٣
٢	﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة: ١٨٢
٣	﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة: ١٩٢
٤	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة: ٢١٨
٥	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٢٦
٦	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	آل عمران: ٣١
٧	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	آل عمران: ٨٩
٨	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	آل عمران: ١٢٩

٩	﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النساء: ٢٥
١٠	﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة: ٣
١١	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة: ٣٤
١٢	﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة: ٣٩
١٣	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة: ٧٤
١٤	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة: ٩٨
١٥	﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الأنعام: ٥٤
١٦	﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الأنعام: ١٤٥
١٧	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الأنفال: ٦٩
١٨	﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الأنفال: ٧٠
١٩	﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ٥
٢٠	﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ٢٧
٢١	﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ٩١
٢٢	﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ٩٩
٢٣	﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة: ١٠٢
٢٤	﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	يوسف: ٥٣

٢٥	﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	إبراهيم: ٣٦
٢٦	﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل: ١١٥
٢٧	إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النور: ٥
٢٨	﴿ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النور: ٢٢
٢٩	﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النور: ٣٣
٣٠	﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النور: ٦٢
٣١	﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النمل: ١١
٣٢	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الحجرات: ٥
٣٣	﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الحجرات: ١٤
٣٤	﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الحديد: ٢٨
٣٥	﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المجادلة: ١٢
٣٦	﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الممتحنة: ٧
٣٧	﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الممتحنة: ١٢
٣٨	﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التغابن: ١٤
٣٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التحريم: ١
٤٠	﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	المزمل: ٢٠

ما تقدم مُنكّراً مرفوعاً واتصل به لام التوكيد		
٤١	﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأنعام: ١٦٥
٤٢	﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأعراف: ١٥٣
٤٣	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	الأعراف: ١٦٧
٤٤	﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	هود: ٤١
٤٥	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	النحل: ١٨
٤٦	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	النحل: ١١٠
٤٧	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	النحل: ١١٩

رابعاً: ما تقدم منكّراً مجروراً:

١	﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾	فصلت: ٣٢

نلحظ تقديم (المغفرة) على (الرحمة) في جميع ما ورد في القرآن الكريم، باستثناء ما جاء في الآية: ٢ من سورة سبأ، وللمفسرين صولة في توجيه هذا التقديم، فقيل: إن تقديم (الغفور) أولى بالطبع؛ لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، ومن الترتيب البديع، البدء بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب والعطية، فالأولى من التقدم بالطبع، والثانية من التقدم بالسبب[١].

(١) انظر: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. نتائج الفكر في النحو للسهيلي. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢ه ـ ١٩٩٢م، ٢١٢/١، ٢١٣؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب - ابن قيم الجوزية. بدائع الفوائد. تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، بلد النشر(بدون)، دار عالم الفوائد، ط(بدون)، ٦٤/١.

وقيل: بأن تقديم (الغفور) "تسكيناً لقلوبهم، وتصحيحاً لرجائهم؛ ليقوى أملهم، فيكون تعالى عند ظنهم بتحقيق الإجابة"[١]. وقيل: لسبق رحمته –تعالى- غضبه[٢]. وقيل: "لتقدم التخلية على التحلية"[٣]. وقيل: "لأن المغفرة سبب لرحمات كثيرة، فإن المغفرة تنهية لغضب الله المترتب على الذنب، فإذا انتهى الغضب تسنى أن يخلفه الرضا، والرضا يقتضي الإحسان".[٤]

ونرى أن مرد تقديم المغفرة على الرحمة هو السياق، فإنما "يقدم الغفور على الرحيم؛ لتقديم ما يستدعي عموم المغفرة، فيقدم الغفور؛ إشارة إلى محو ما يوجب العقاب، ويؤخر الرحيم؛ إشارة إلى التفضل بالثواب".[٥]

المطلب الثاني: تقديم (الرحيم) على (الغفور): وورد في موضع واحد:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾	سبأ: ٢

أما تقديم (الرحيم) في آية سبأ، نجد أن السياق قد خالف المعهود فيما كان يقدم فيه المغفرة، فقد انتظم فيه ذكر أوصاف الخلق من المكلفين، وغيرهم من الحيوان، على جهة الشمول والعموم، فكان الأنسب فيه أن يقدم الأشمل الأعم، وهي الرحمة؛ لأنها عامة للإنسان وغيره.

---

(١) إبراهيم بن عمر البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآي والسور. بيروت، دار الكتب العلمية، ط(بدون)، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م ٩٧/٤.
(٢) انظر: إسماعيل حقي. روح البيان. ٧٥/٢. وابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٩/٢٩.
(٣) الآلوسي. روح المعاني. ١١٩/١٤.
(٤) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ١٢٧/٩
(٥) إسماعيل حقي. روح البيان. ٩٤/٨.

أشار إلى هذا المعنى السهيلي[١]، فقال: "الرحمة متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع؛ لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص".

وقدّم (الرحيم) في آية سبأ؛ لتضمن ما قبلها جلب الخير، ثم ختم الآية بذكر صفة المغفرة، لتضمنها دفع الشر.[٢]

ويذكر الرازي[٣]، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: من أنواع رحمته منها المطر، ومنها الملائكة، ومنها القرآن، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ منها الكلم الطيب، ومنها الأرواح، ومنها الأعمال الصالحة.. ، فهو (رحيم) بالإنزال حيث ينزل الرزق من السماء، (غفور) عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال، فرحم أولاً بالإنزال، وغفر ثانياً عند العروج.

ويقول البقاعي[٤]: "ولما كان الحاصل من هذا المتقدم أنه رب كل شيء، وكان الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح، وكان ربما ظن جاهل انه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها، أَعْلَمَ أن رحمته سبقت غضبه، ولذلك قدم صفة الرحمة، ولأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص".

---

(١) نتائج الفكر في النحو. ٢١٣/١.
(٢) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ٢٤٩/٣؛ وابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد. ٦٤/١، ٨٠؛ وتفسير ابن عرفة. ١٧١/٤.
(٣) انظر: التفسير الكبير. ١٩٤/٢٥.
(٤) نظم الدرر. ١٥١/٦.

ويذكر سيد قطب[١]: "أن آية واحدة من القرآن كهذه الآية لممّا يوحي بأن هذا القرآن ليس من قول البشر..، ومثل هذه الإحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله بارئ هذا الوجود التي لا تشبهها صنعة العبيد".

المبحث الثالث: تقديم صفة (العليم) على صفة (الحكيم) وتأخيرها

المطلب الأول: تقديم صفة (العليم) على صفة (الحكيم):

أولاً: ما تقدم مُنَكّراً مرفوعاً، وجاء في خمسة عشر موضعاً:

م	الآية	السورة/رقمها
١	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	النساء: ٢٦
٢	﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال: ٧١
٣	﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١٥
٤	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٢٨
٥	﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٦٠
٦	﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ٩٧
٧	﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١٠٦
٨	﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة: ١١٠

(١) في ظلال القرآن. ١٥٥/٤، ١٠٨/٦.

٩	﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	يوسف: ٦
١٠	﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الحج: ٥٢
١١	﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	النور: ١٨
١٢	﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	النور: ٥٨
١٣	﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	النور: ٥٩
١٤	﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الحجرات: ٨
١٥	﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الممتحنة: ١٠

ثانياً: ما تقدم مُنكّراً منصوباً، وهو في عشرة مواضع:

م	الآية	السورة/رقمها
١	﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ١١
٢	﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ١٧
٣	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ٢٤
٤	﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ٩٢
٥	﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ١٠٤
٦	﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ١١١
٧	﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء: ١٧٠
٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	الأحزاب: ١

٩	﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	الفتح: ٤
١٠	﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	الإنسان: ٣٠

ثالثاً: ما تقدم معرّفاً بـ(ال)، وهو في أربعة مواضع:

م	الآية	السورة/رقمها
١	﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	البقرة: ٣٢
٢	﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	يوسف: ٨٣
٣	﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	يوسف: ١٠٠
٤	﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	التحريم: ٢

يُلاحظ استعمال الصفتين مرة بالتقديم ومرة بالتأخير، إلا أن الغالب هو تقدُّمْ صفة (العليم) على (الحكيم) ومرجع ذلك؛ هو أن الحكمة لا تكون إلا عن علم، ولهذا كان أكثر ما جاء في القرآن على هذا الوصف، قاله الزركشي[١]، ووافقه بعض المحدثين[٢].

كما يُلاحظ في المواطن التي تقدمتها صفة العليم؛ أن سياقها كان في مقام العلم والدراية، فكان الأنسب تقدمها، ولو لم يقدمها لاختل المعنى. وأما كون الحكمة لا تكون إلا عن علم فإنه أمر مسلّم به، إذ لا يكون الحكيم جاهلاً قطعاً. يذكر إسماعيل حقي[٣]، "أن الله تعالى قدم في بعض المواضع (العليم)؛ لاعتباره حضرة العلم؛ لأن العلم في تعلقه في الأعيان والحقائق العلمية تابع للحكمة، وذلك عبارة عن كونه تابعاً للمعلوم حيث تعلق به في تلك الحضرة على وجه ما أعطاه إياه من نفسه. وأما تقدم (الحكيم) فهو باعتبار حضرة العين؛ لأن الحكمة في تعلقها بالتعينات، والصور المعينة تابعة للعلم، وهذا عبارة عن كون المعلوم

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن. ٢٤٧/٣.
(٢) انظر: المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. ١١٩/٢.
(٣) روح البيان. ١٣٩/٤.

تابعاً للعلم، حيث إنما تعلقت بها في هذه الحضرة على وجه ما أعطاه العلم إياها من نفسه على الوجه الأول، فلا جرم أن المتبوع في أي مرتبة كان له التقدم، والتابع كذلك له التأخر جداً، ولا شك أن المعتبر إنما هو تقدم المعلومات على تعلق العلم بها بالذات في الحضرة الأولى، وتأخرها عنه في الثانية، والحكمة إنما هي ترتب تلك المعلومات في مراتبها ووضعها في مواضعها في أية حضرة كانت".

ويؤيد ما ذهبنا إليه سياق الآيات، ففي آية البقرة [٣٢]، تقدم وصف (العليم)؛ "ليتصل بما يناسبه في السياق، وهو قوله: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾"[(١)]، فكان من المناسب تقديم صفة العليم. وآية النساء [٢٦]، قدم العلم؛ لأنه "مناسب للبيان والهداية والترغيب في التوبة بطريق الوعد بقبولها، وكل ذلك أثر العلم"[(٢)]، فالتائب لا يعلم صدق سريرته سوى الله، لذلك قدم صفة العليم. وفي آية الأنفال [٧١]، لما تقدمت الخيانة قدم العلم بها. وآية التوبة [١٥]، "لما رتب المواعيد للمؤمنين، وأنه ناصرهم لا محالة، قدم العليم؛ ليقرر ما رتب عليها، وأنها كائنة لا محالة"[(٣)]، فلم يَعِد المؤمنين بالنصر إلا عن سابق علم بأنهم المنصورون. وفي يوسف [٦]، "لما تقدم الاجتباء قدم العلم؛ لعلمه بمن يحق له الاجتباء"[(٤)]. وفي آية الحج [٥٢]، لما تقدم قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فـ(تمنى) أي قرأ، أو تمنّى هدى قومه، فيأتي تسويل الشيطان ليلقي شيء في شيء لخلطه وإفساده، أو ألقى في نفس النبي خاطر اليأس على المعنى الثاني، وهذا التسويل بحاجة إلى علم؛ لينسخ ﴿ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، فكان تقديم (العليم) أولى[(٥)]، ويدلنا مفهوم المخالفة بأن الله لو لم يكن يعلم ذلك التسويل، لما نسخ ما ألقاه الشيطان وسولّه، إمّا في قراءة النبي –

(١) الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ٢٤٧/٣.
(٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٠/٥.
(٣) أبو حيان. البحر المحيط. ٢٠/٥.
(٤) إسماعيل حقي. روح البيان. ١٣٩/٤.
(٥) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٩٩/١٧. (بتصرف).

صلى الله عليه وسلم-، وإمّا فيما خطر في نفسه، فكان تقديم العليم هو الأنسب. وفي آية النور [١٨]، "المراد من الآيات ما به يعرف المرء ما ينبغي أن يتمسك به، ولكونه عليماً فإنه يؤثر بما يجب أن يبينه، ويجب أن يطاع لأجل ذلك، لأن من لا يكون عالماً لا يجب قبول تكليفه، لأنه قد يأمر بما لا ينبغي، ولأن المكلف إذا أطاعه فقد لا يعلم أنه أطاعه، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة"(١). وفي الأحزاب [١]، "تقدم الأمر بالتقوى، فجاءت الخاتمة بتقديم (عليماً) إشارة إلى أن التقوى ينبغي أن تكون نابعة من القلب [ولا يعلم ما في القلب سوى الله] فلا تخفي في نفسك تقوى غير الله"(٢)، فهو "عليم حيث أمر بتقواه، أو عليم بمن يتقي"(٣). وفي الفتح [٤]، "لما كان مبنى ما مضى كله على القدرة بأمور خفية.. وكان تمام القدرة متوقفاً على شمول العلم، بالذوات والمعاني"(٤) قدم العلم. وفي آية الحجرات(٥) [٨]، قدم (عليم) "تذييل لجملة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾(٦)". وفي آية الممتحنة [١٠]، قدم (عليم) إشارة "إلى أن هذا حكم يقتضيه علم الله بحاجات عباده"(٧)، كما أن الآية في سياق امتحان المؤمنات المهاجرات، والعلم في موطن الامتحان أهم من الحكمة، فقدم ما هو أهم. وفي آية التحريم [٢]، حلف النبي –صلى الله عليه وسلم- بأن يمتنع عن مارية(٨)؛ إما تطييباً لقلب من ألمّ بها في بيتها كونها غارت من ذلك،

(١) الفخر الرازي. التفسير الكبير. ٣٤٧/٢٣.
(٢) الفخر الرازي. التفسير الكبير. ١٥٧/٢٥.
(٣) أبو حيان. البحر المحيط. ٢٠٦/٧.
(٤) البقاعي. نظم الدرر. ١٨٩/٧.
(٥) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٣٨/٢٦.
(٦) الحجرات: ٧.
(٧) المصدر السابق. ١٦١/٢٨.
(٨) هي مارية القبطية بنت شَمْعون، أم ولده إبراهيم، أهداها له المقوقس في سنة سبع من الهجرة، ومعها أختها سِيْرِين، وخصي يقال له: مابور، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً، وبغلته الدلدل، وغير ذلك، فأسلمت وأسلمت أختها، توفيت سنة ست وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، وروي أنها ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ودفنت بالبقيع. انظر: محمد بن يوسف الصالحي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لبنان – بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م، ٢١٩/١١. وانظر: سعيد أيوب. زوجات النبي. لبنان – بيروت، دار الهادي للطباعة، ط١،

واستكتمها، فأفشته إلى بعض نسائه، وإما لشرب العسل، على الخلاف في السبب، فأعقبه بالتحلل من اليمين[١]، "لأنه (العليم) بمصالحكم وغيرها إلى ما لا نهاية له"[٢]، فقدم ما اقتضاه السياق. وفي آية الإنسان [٣٠]، لما أطنب في وصف المشيئة ذيلها بتقدم (عليماً)؛ تعليل لجملة ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾[٣]، أي: لأنه واجبٌ له العلم والحكمة، فهو أعلم فمن شاء أن يدخله في رحمته ومن شاء أبعده عنها[٤].

وبهذا يظهر أن الأَوْلى هو تقديم صفة العليم، لدلالة السياق عليه، وقد اقتصرت على توجيه موضع واحد من كل سورة تقدمت فيها صفة العليم أكثر من مرة؛ خشية التطويل، وبقية المواطن فإن سياقها بعد الاستقراء لكل موضع يجري نفس المجرى.

المطلب الثاني: تأخير صفة (الحكيم) على صفة (العليم)"

أما ما تأخرت فيه صفة (الحكيم) على (العليم)، فقد تأخر منكّراً مرفوعاً في أربعة مواضع، ومنكّراً مجروراً في موضع واحد، ومعرفاً بـ(ال) في موضعين:

م	الآية	السورة/رقمها
١	﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾	الأنعام: ٨٣
٢	﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾	الأنعام: ١٢٨
٣	﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾	الأنعام: ١٣٩
٤	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾	الحجر: ٢٥

١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص١١٥.

(١) انظر: أبو حيان. البحر المحيط. ٢٨٥/٨. (بتصرف).

(٢) البقاعي. نظم الدرر. ٤٥/٨.

(٣) الإنسان:٣١.

(٤) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٤١٣/٢٩.

ما تقدم منكّراً مجروراً		
٥	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	النمل: ٦
ما تقدم معرّفاً بـ(ال)		
٦	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	الزخرف: ٨٤
٧	﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	الذاريات: ٣٠

وأما ما تقدمت فيه صفة (الحكيم) على العليم؛ فإن سياقها دال على أمور تقتضي الحكمة أولاً، ثم العلم ثانياً، فيكون الأنسب فيها تقديم الحكمة، وليس من الحكمة تأخيرها.

ففي الأنعام [٨٣]، قدم (حكيم)؛ لتقدم قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾، وهذا يثير تساؤلاً، لماذا يرفع بعض الناس دون بعض؟ فأجيب "بأن الله يعلم مستحق ذلك، ومقدار استحقاقه، فحكيم بمعنى محكم، أي: متقن للخلق والتقدير، وتقديم الحكيم؛ لأن هذا التفضيل مظهراً للحكمة"[(١)]. وقيل: "لأن أولها كان في الحشر، أي: أنها في الاستدلال على البعث الذي هو محط الحكمة، فكان تقديمه هو الأنسب". وقيل: "محاجته له على قانون الحكمة بالعالم العلوي الذي نسبوا الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه، وكان في ختام محاجته لهم أن الجاري على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده، فلا خوف عليهم، لذا قدم صفة الحكمة"[(٢)]. وفي آية [١٢٨] –من نفس السورة-، قدم (حكيم)؛ لأنها في مقام الحشر أيضاً، أي: حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب، وسائر أنواع المجازاة[(٣)]. وفي آية [١٣٩] –من نفس السورة-، قدم الحكيم؛ "لأنه في مقام تشريع الأحكام"[(٤)]، فلولا الحكمة في وضع التشريع الرصين لما بقى. وفي الحجر [٢٥]، قدم وصف الحكمة؛ "للإيذان باقتضائها للحشر

(١) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٣٣٦/٧.
(٢) البقاعي. نظم الدرر. ١٦٩/٧.
(٣) انظر: الفخر الرازي. التفسير الكبير. ١٤٩/١٣.
(٤) الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ٢٦٢/٣.

والجزاء"[١]. وفي آية النمل [٦]؛ "لأنه سبقها في الآية قبلها حكمه على الذين لا يؤمنون بالآخرة بسوء العذاب، فناسب تقديم الحكمة فيها". وآية الذاريات [٣٠]؛ جاءت في سياق الرد على امرأة إبراهيم –عليه السلام-، حين بُشّرت بالولد، فتعجبت كيف يولد لها وهي عجوز عقيم؟ فأخبرتها الملائكة بأنها بأمر الله، فهو الحكيم، الذي يضع كل شيء في موضعه، فهو قادر على أن يجعل الولد من العجوز العقيم بمقتضى حكمته. وآية الزخرف، قد "سبقها حكمه على المجرمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[٢]، وهو حكم صادر عن حكمة، وكذلك فإن الإله لا يصلح للإلهية إلا إذا كان يضع الأشياء في محالها، بحيث لا يتطرق إليها فساد، ولا يضرها إفساد، فقدم صفة الحكمة لذلك.[٣]

وبهذا فإن المواطن التي تقدمتها صفة الحكيم؛ نجد أن سياقها كان مقتضياً تقدم الحكمة، ومن غير المناسب تقديم العلم فيها؛ إمّا لاستلزام العلم السياق الذي وردت فيه، وتقديمه يكون من باب التكرار، وإما لبداهته، وعليه جاءت الحكمة متقدمة في التركيب القرآني، ليسترعي بذلك سياق المقال والمقام أو أحدهما.

الفصل الثاني: التقديم والتأخير فيما اقترن مع الصفة بلفظ العمل أو الفعل أو الصنع.

المبحث الأول: تقديم صفة (الخبير) على (العمل) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (الخبير) على (العمل):

تقدمت صفة الله (الخبير) على العمل في سبعة مواضع:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ	آل عمران: ١٥٣

(١) الآلوسي. روح المعاني. ١٥٨/١٩.
(٢) الزخرف: ٧٤
(٣) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ٤٩٢/٧

	خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	
٢	﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	المائدة: ٨
٣	﴿ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	التوبة: ١٦
٤	﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	النور: ٥٣
٥	﴿ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	المجادلة: ١٣
٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	الحشر: ١٨
٧	﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	المنافقون: ١١

ويعود اختلاف التركيب في هذا الموضع للسياق الذي ورد فيه ذلك الموطن، فإذا كان الأمر يحتاج إلى خبرة وعلم ودراية، أو كان من الأمور القلبية التي يستلزم معرفتها خبرة خابر؛ فإنه يقدم صفة (الخبير) على العمل.

ففي آية آل عمران [١٥٣]، كان السياق في غزوة أحد، وقد كانت تذكيراً بفرار من فرّ، إذ لم يلو أحد عنقه إلى نداء الرسول –صلى الله عليه وسلم- هرباً، فجازاهم غم متصل بغم؛ ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد؛ لكيلا يحزنوا على ما فات من الغنيمة، ولا ما أصاب من الهزيمة، فهو سبحانه خبير بموقف صحابته -صلى الله عليه وسلم- منه يوم أحد، فأثابهم (غَمَّاۢ بِغَمّٖ)؛ لخبرته بقصدهم وأعمالهم، فقدم صفة الخبير. وفي آية المائدة [٨]، لما كان الشنآن محله القلب، وهو الحامل على ترك العدل، أمر بالتقوى، وأتى بصفة (خبير)، ومعناها: عليم، ولكنها تختص بما لطف إدراكه، فناسب هذه الصفة أن ينبه بها على

الصفة القلبية[١]. وآية التوبة [١٦]، كانت في سياق الجهاد وما يستلزمه من الإخلاص، فقدم الصفة؛ لعلمه "بالمجاهد المخلص الخالي من النفاق والرياء والتودّد إلى الكفار"[٢]. أما آية النور [٥٣]، فسياقها في المنافقين، وإقسامهم الأيمان المغلظة بامتثالهم أوامر النبي ﷺ فقدم صفة الخبير؛ لأنه وحده يدرك ما يضمروه في قلوبهم من الكفر، والمخادعة للمؤمنين، وفجورهم وكذبهم ونقضهم للعهود والمواثيق. وفي آية المجادلة [١٣]، تقدم السياق في النجوى مع رسول الله، فلما شق على الصحابة تقديم الصدقات حال مناجاته، رفع هذا الحكم وأبدله بما هو أيسر، فمن أراد مناجاته؛ فيجب عليه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وبهذا فلا يظنّ مناج يقدم على مناجاته ﷺ دون أن يلتزم بما وجب عليه؛ لأنه الخبير بمن يمتثل المأمور به حال المناجاة. أما آية الحشر [١٨]، فإن سياق ما تقدم كان في التقوى، وهي أمر قلبي، لا يعلمها في قلب العبد إلا الله، فقدمها لذلك. وآية المنافقون [١١]، سيقت لتحقيق علم الله بما يعمله المؤمنون، وما يعلمه من تمنى الرجوع إلى الدنيا أو من يطلب تأخر الموت عنه؛ ليتزود وينفق، فقدم صفة الله الـ(خبير)؛ لما تؤذن به مادة خبير من العلم بالأمور الخفية؛ ليفيد أنه سبحانه عليم بما ظهر من الأعمال وما بطن، من الأعمال القلبية.

المطلب الثاني: تقديم (العمل) على وصف (الخبير):

وتقدم العمل على صفة الله (الخبير) في تسعة مواضع:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	البقرة: ٢٣٤

(١) انظر: أبو حيان. البحر المحيط. ٤٥٥/٣.
(٢) المصدر نفسه. ٢٠/٥.

٢	﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	البقرة: ٢٧١
٣	﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	آل عمران: ١٨٠
٤	﴿ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	هود: ١١١
٥	﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	لقمان: ٢٩
٦	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	الحديد: ١٠
٧	﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	المجادلة: ٣
٨	﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	المجادلة: ١١
٩	﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	التغابن: ٨

أما تقديم العمل على وصف الخبير، فإنما يقدم للسياق أيضاً، فإذا كان السياق في عمل الإنسان، أو فيما لا يستلزم معرفته إلى خبره - لظهوره وبداهته- فإنه يقدم العمل على الخبرة.

فآية البقرة [٢٣٤]، نجد أن سياقها في عدة المتوفى عنها زوجها، والعدة حكم شرعي ظاهر، ليس فيها من الخفاء ما يستلزم تقديم (الخبير) فقدم العمل للعمل بموجب المنصوص عليه. أما آية [٢٧١]، -من نفس السورة- فمحور سياقها في الصدقة، وهي إجبار النفس على البذل، والبذل عمل وامتثال فقدم العمل. وفي آل عمران [١٨٠]، قدم العمل؛ لأنها في سياق ذم البخل؛ كونه عملاً فيه شر للإنسان يوم القيامة، كما أن البخيل أمره ظاهر ليس بحاجة إلى خبرة. وفي آية هود [١١١]، قدمه؛ لأنها في سياق العمل. وقدمه في آية لقمان [٢٩]، لتقدم الليل والنهار، وهما محل الأعمال، فبين الله أن ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف لا يخفى على الله.

وآية الحديد [١٠]، كانت في سياق الإنفاق، وهو عمل من شأنه يحفظ للمسلمين تكافلهم، فقدمه، ولا يستدعي تقديم الخبرة فيه. وآية

المجادلة [٣]، سياقها في الظهار، وهو حكم يجب العمل به، كما أن المظاهر قد حرّم ما أحل الله له، فكانت الكفارة، وهي عمل يقوم به المظاهر، فكان الأنسب تقديم العمل. وفي آية [١١]، -من نفس السورة- كان السياق متضمناً لمجالس طلب العلم، ورفعة أهل العلم والإيمان على غيرهم، فقدم العمل؛ ليُفْهَم أن العلم يعلي صاحبه مطلقاً، فإن كان مؤمناً عاملاً بعلمه كان النهاية، وإن كان عاصياً كان أرفع من مؤمن عاص وعار عن العلم، وإن كان كافراً كانت رفعته دنيوية بالنسبة إلى كافر لا يعلم، تنبيهاً على مزيد الاعتناء بالأعمال(١).

أما آية التغابن [٨]، فقد تقدمها قوله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٢)، فلما سبق التهديد بالتنبؤ بالعمل، كان تقديمه أولى.

مما سبق نلمس فيما تقدم فيه صفة الخبير؛ مساس حاجة السياق إلى الخبرة والعلم والدراية، فقدم وصف الخبير كون السياق به أعنى.

أما المواطن التي تقدمها العمل، فنجدها إما في سياق العمل، أو السياق في أمر معلوم بداهة، أو لافتقاد السياق ما يلزم تقديم الخبرة فيه فلا يستدعي تقدم وصف الخبير فيه فيقدم العمل.

المبحث الثاني: تقديم صفة (البصير) على (العمل) وتأخيرها.

المطلب الأول: تقديم صفة (البصير) على (العمل):

تقدمت صفة الله (البصير) على (العمل) في أربعة مواضع:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ	البقرة: ٩٦

(١) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ٤٩٦/٧. وانظر: محمد السيد عبد الرزاق موسى. الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير. (بحث) الأردن، جامعة الزرقا الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع، ص١٠.

(٢) التغابن: ٧.

	﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	
٢	﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	آل عمران: ١٦٣
٣	﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	المائدة: ٧١
٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	الحجرات: ١٨

قد تأتي صفة الله (البصير) بمعنى العليم، إلا أنها تحمل معنىً زائداً على العلم.

يقول الآلوسي[١]: "البصر صفة زائدة على العلم..؛ لأنا إذا علمنا شيئاً علماً جلياً ثم أبصرناه نجد فرقاً بين الحالتين بالبديهة، وإن في الحالة الثانية حالة زائدة هي الإبصار"،كما أن البصير مبالغة في المبصر، أي: العليم بكل ما يقع في أفعالهم، سواء ما أبصره النّاس منها أم ما لم يبصروه[٢]. ويقدم البصر على العمل أحياناً، وفي أمكنة أخرى يأتي العكس، وذلك بحسب ما يقتضيه السياق. يذكر السامرائي[٣]، بأن السياق إذا كان في العمل قدم العمل، وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان السياق على الله وليس على الإنسان وعمله؛ قدم صفته تعالى، وهو البصر.

والذي نراه، أن تقديم صفة البصير يكون في سياق ما يستوجب التفطّن والتبصّر والدّراية والعلم، وليس لأحد من البشر فهم ذلك أو الدراية به، لاختصاص العلم به لله وحده. بخلاف تقديم العمل، فإن سياق المواطن فيه غير مستوجب ما سبق.

ففي البقرة [٩٦]، نلحظ بأن سياقها في اليهود، وما سيعملوه في أعمارهم من الأعمال السيئة، فقدم البصير؛ لأنه بصير بدقيق أعمالهم

(١) روح المعاني. ١١٢/٤.
(٢) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٧٩/٦.
(٣) انظر: من أسرار البيان القرآني. ص١٣٢.

وعراقتهم في الكفر، فقدم بما يشعرهم بعلمه؛ إعلاماً بما أبصره من خفي مكرهم القاضي بضرهم[١]. وفي آل عمران [١٦٣]، لما ذكر في مطلعها (هُمۡ دَرَجَٰتٌ) بيّن أن هناك تفاوتاً بالدرجات، وإذا كان التفاوت حاصل في الدنيا، فإنه لا شك منه في الآخرة، لكن كان هذا التفاوت وفق اعتبار هو: (ﷲ ﷲ) لا بما عند الناس؛ لأن الله خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم، فهو مبني على بصيرة وعلم وفهم وإدراك لطبيعة خلقه، فقدم البصر لذلك[٢].

وفي آية المائدة [٧١]، قدم البصر؛ "لتقدم (فَعَمُواْ وَصَمُّواْ)"[٣]، فناسب تقديم الصفة سياق المقال، ولأن الله أعلم بإساءة وفساد كثير ممن قد كان تاب عليهم[٤]، فناسب تقديمها سياق المقام. وآية الحجرات [١٨]، تقدمها (إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)، "فكان من باب عطف الأخص على الأعم، لأنه لما ذكر أنه يعلم الغيب، وكان شأن الغائب أن لا يُرى، عطف عليه علمه بالمبصرات؛ احتراساً من أن يتوهّموا أن الله يعلم خفايا النفوس وما يجول في الخواطر ولا يعلم المشاهدات.. ولهذا أُوثِر هنا وصف بصير"[٥]، كما أنه قدم البصر؛ لبيان كونهم غير صادقين في دعواهم؛ لأنه يعلم كل مستتر في العالم، ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم، ولا يخفى عليه منه شيء، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم؟.[٦]

المطلب الثاني: تقديم (العمل) على صفة الله (البصير):

تقدم العمل على الصفة، في اثني عشر موضعاً:

١	﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ	البقرة: ١١٠

(١) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ٢٠٢/١.
(٢) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ١٧٧/٢.
(٣) أبو حيان. البحر المحيط. ٥٤٣/٣.
(٤) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٧٧/٦.
(٥) المصدر نفسه. ٢٧١/٢٦.
(٦) انظر: النسفي. مدارك التنزيل. ١٤٠/٤؛ وإسماعيل حقي. روح البيان. ٧٩/٩؛ والآلوسي. روح المعاني. ١٧٠/٢٦.

	بَصِيرٌ ﴾	
٢	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	البقرة: ٢٣٣
٣	﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	البقرة: ٢٣٧
٤	﴿ فَإِنْ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النساء: ٢٥
٥	﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾	الأعراف: ١٧٠
٦	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	الأنفال: ٤١
٧	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	الأنفال: ٢٨
٨	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	الأنفال: ٢٤
٩	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَّلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٣٥
١٠	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	البقرة: ٢٢٣
١١	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۚ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	التوبة: ٢
١٢	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۚ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	التوبة: ٣

وتأخر البصر عن العمل بلفظ (بصيراً) في موضعين:

١	﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾	الأحزاب: ٩
٢	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾	الفتح: ٢٤

وتقدم العمل عن البصر بلفظ (يعملون) في موضع:

١	﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	الأنفال: ٣٩

أما تقديم العمل على البصير، فلسبقه ما لا يحتاج في العلم به إلى بصر وعلم، إنما يكفي مجرد الوقوف عليه لمعرفته دون أدنى تأمل، أو لسابقة دلت على العمل.

ففي البقرة [١١٠]، تقدمها ما دل على العمل في قوله: (وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ)، والتقديم للنفس من الخيرات والطاعات إنما يكون بالعمل، فقدمه. وفي آية [٢٣٣]، -من نفس السورة- تقدم قوله: (وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ) الدال على العمل، إذ أن توفير المسكن والملبس والمأكل وغيره لا يكون إلا عن عمل، فقدمه. وفي آية [٢٣٧]، -من نفس السورة- كان الخطاب للأزواج والزوجات، فندب الزوج إلى أن يستطيب قلب الزوجة المطلقة قبل المسيس بأن يسلم المهر إليها بالكلية، وندب المرأة إلى ترك المهر بالكلية، فَذِكْر الصداق يدل على العمل من وجهين، الأول: ما في تحصيله من معنى العمل، والآخر: تركه بيد الزوجة المطلقة أمر ظاهر لا يحتاج إلى تبصر وعلم، أما إذا كان العفو من الزوجة المطلقة، فالعفو أمر ظاهر أيضاً، فكان تقديم العمل إما لأن الصداق بحاجة إلى العمل من أجل تحصيله، وإما لأن أمر العفو عن الصداق أمر ظاهر ليس بحاجة إلى تفطن أو علم لمعرفته، والله أعلم. وفي آية [٢٦٥]، -من نفس السورة- نجد سياقها في الإنفاق، وقد ضرب له مثلاً بقوله: (كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ)، ولما كان الإنفاق في ابتغاء مرضاة الله عمل، وتحصيل المال المتصدق به إنما يأتي عن عمل، والمثل المضروب فيه أيضاً دالاً على العمل، قدم العمل.

وآية آل عمران [١٥٦]، كان سياقها في نهي المؤمنين عن عمل الكافرين، في قولهم لإخوانهم: لولا أسفارهم بالتجارة وغزوهم وإلا كانوا أحياء، كما أن قوله: (ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى) دال على العمل، فقدم العمل. أما آية الأنفال [٧٢]، فقد تقدمها (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ..

وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ.. وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ) فالإيمان قول وعمل، والهجرة والجهاد عمل، والإيواء والنصر عمل، فلما تقدم التذييل المبدوء بالعمل، ودلالة هذه المفردات على العمل، انسجم السياق، وانسبك اللفظ. وآية هود [١١٢]، قدم العمل لتقدم قوله: (فَٱسۡتَقِمۡ)، ولا تتحقق الاستقامة إلا بالعمل. وآية سبأ [١١]، لتقدم قوله: (أَنِ ٱعۡمَلۡ.. وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا). وآية فصلت [٤٠]، لتقدم (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ). وآية الحديد [٤]، قدم العمل "لإحاطته بأعمالهم"[(١)]، وفي قوله: "(وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ)، أي: لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"[(٢)]، "ولأنه العامل بكم وفيكم، ولا بد لكل عامل أن يبصر عمله وما يتعلق به"[(٣)]. أما آية الممتحنة [٣]، فسيقت لبيان ما يمكن نفعه يوم القيامة، فبيّن عدم منفعة الأرحام والأولاد بقدر منفعة العمل الصالح ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[(٤)]. وفي آية التغابن [٢]، لتقدم قوله: (فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ)، "والكفر والإيمان مكسوبان للعبد [بفعله وعمله]، وخلْق الله تعالى إياهما لا ينافي كونهما مكسوبين للعبد"[(٥)]. أما آية الأحزاب [٩] والفتح [٢٤]، فقدم العمل في الأولى؛ لأنها في سياق غزوة الأحزاب، وفي الأخرى؛ لأنها في صلح الحديبية، وما في الغزوتين من العمل -النفسي بالمزيد من التقرب إلى الله، والبدني بالمزيد من التدريب، والمالي بإعداد العدة وتجهيز المؤن- ظاهر، فقدمه لذلك. وفي آية الأنفال [٣٩]، قدم العمل بلفظ (يعملون)، وقُرِأت بـ(تعملون)، فعلى القراءة الأولى: يكون الخطاب عائداً لمن انتهى عن كفره وآمن، والإيمان متحقق بالعمل، فقدم العمل؛ لتحقق معنى

(١) أبو السعود. إرشاد العقل السليم. ٢٠٤/٨.
(٢) الماوردي. النكت والعيون - تفسير الماوردي. ٤٧٠/٥.
(٣) إسماعيل حقي. روح البيان. ٢٨٨/٩.
(٤) الشعراء: ٨٨ – ٨٩.
(٥) الآلوسي. روح المعاني. ١٢٠/٢٨.

الإيمان به. أما على القراءة الأخرى: فإن الخطاب لمن أُمِرُوا بالمقاتلة، فإنه بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعاء إلى دينه بصير بكم[١]. والله أعلم.

المبحث الثالث: تقديم صفة (العليم) على (الفعل والعمل والصنع) وتأخيره.

المطلب الأول: تقديم صفة (العليم) على (الفعل والعمل والصنع):

تقدمت صفة (العليم) على الفعل بلفظ (يفعلون) في موضعين، وعلى العمل بلفظ (يعملون) في موضع واحد، وبلفظ (تعملون) في موضع واحد، وعلى الصنع بلفظ (يصنعون) في موضع.

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾	يونس: ٣٦
٢	﴿ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	يوسف: ١٩
٣	﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	النحل: ٢٨
٤	﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾	النور: ٤١
٥	﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾	فاطر: ٨

وفي هذا الموضع يعد السياق سيد الموقف، فإذا كان السياق في مقام التفطّن والعلم والتبصّر، فإنه يقدم صفة (العليم)، أما إذا كان في العمل، أو مما ليس بحاجة فيه للعلم والإحاطة، فإنه يقدم العمل.

ففي تقديم صفة العلم على العمل، نجد مدار السياق في آية يونس [٣٦] في الظن، ومن المعلوم أن العلم المشوب بشك لا يغني شيئاً في

(١) انظر: أبو حيان. البحر المحيط. ٤٨٩/٤.

إثبات الحق المطلوب؛ لأن العلوم الحاصلة بالدليل العقلي لا يتأتى الإيمان بها إلا بالجزم؛ لأن الجزم ممكن فيها، بخلاف العلوم الحاصلة بالأدلة الظاهرة فلا يتأتى الإيمان بها باليقين، إنما يكتفى بالظن الراجح، بعد إعمال النظر وهو ما يسمى بالاجتهاد[١]، ولما كان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق شيئاً، إنما المطلوب فيه العلم اليقيني القطعي، ولما كان ذلك غير خفي عنهم -لإمكان الجزم فيه، والمعرفة به من مجرد إعمال العقل فيه- قدم العلم؛ لعلم الله باستكبارهم وعدم خفاء ذلك عنهم. وآية يوسف [١٩]، تقدمها (ں ڻ)، فقُدِمت صفة العلم على العمل في الفاصلة، كونه بليغ العلم بما أسروه، إذ لم يخف عليه أسرارهم، أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم. وفي آية النحل [٢٨]، قدم العلم لما حكى عنهم قولهم: (ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ)، فرد عليهم، بأنه عالم بما كانوا عليه في الدنيا فلا ينفعهم هذا الكذب، وإنه مجازيهم على الكفر الذي علمه منهم. وفي النور [٤١]، تقدم قوله: ﴿كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾، الدال على العلم، فكان الأنسب بالفاصلة تقديم الصفة. وفي فاطر [٨]، قدم العلم على الصنع؛ تعليل لما سبق من الآفات التي ارتكبوها، وفيه للكفرة أنه تعالى عليم بما يصنعونه من القبائح فيجازيهم عليها[٢]، أو "لما كان كأنه قيل: إنهم يؤذون أولياءك فيشتد أذاهم، وكان علم الولي القادر بما يعمل عدوه كافياً في النصرة؛ [قدم العلم]".[٣]

المطلب الثاني: تأخير صفة (العليم) على (العمل):

وتأخرت صفة (العليم) على (العمل) في ثلاثة مواضع:

م	الآية	السورة/رقم الآية
١	﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾	البقرة: ٢٨٣

(١) نظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ١٦٦/١١.
(٢) انظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم. ١٤٥/٧. والآلوسي. روح المعاني. ١٧١/٢٢.
(٣) البقاعي. نظم الدرر. ٢٠٦/٦.

٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾	المؤمنون: ٥١
٣	﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾	النور: ٢٨

أما تقديم العمل على العلم؛ فلاقتضاء المقام العمل، وعدم حاجة السياق إلى تقديم العلم. فآية البقرة [٢٨٣]، وردت في سياق المعاملات المالية، لا سيما وسابقها آية الدين مبينة أحكامه في الحضر، ثم تلاها ما يجب أن يكون عليه حال السفر، فقدم العمل؛ لسياق ما تقدم من المعاملات، إذ أنه فيما تتعاملونه بينكم عليم، كما أنها أحكام شُرِعَتْ للعمل بها، أو لما تقدم كتمان الشهادة، وشهادة الزور، وهما من الأعمال التي تجر صاحبها إلى النار؛ قدم العمل. وفي آية المؤمنون [٥١]، قدم العمل في قوله: (ه ـ)، فقدمه في الفاصلة. وآية النور [٢٨]، سياقها مستأنفاً في بيان أحكام التزاور وتعليم آداب الاستئذان، فقدم العمل في مختم هذه الآية؛ للعمل بهذه الوصايا وامتثالها. وبهذا يتبين أن المناط الذي يجري عليه اختلاف التراكيب بالتقديم والتأخير في هذا الموضع هو السياق.

الخاتمـــة:

- الإعجاز البياني بصمته في كل كلمة وآية وسورة من القرآن الكريم عكس الوجوه الأخرى.
- التقديم والتأخير إنما يأتي لغرض معنوي يحتمله السياق.
- السياق من الطرق التي يمكن للمفسر الاعتماد عليه في فهم المعنى، ومن الطرق التي تعين القارئ على الفهم والتدبر.
- التناسب بين الآية والفاصلة التي ختمت بها، قد يكون جلياً، وقد يحتاج إلى تأمل عميق.
- المعنى المراد يكمن سره وراء ذلك الرصف العجيب لكلمات القرآن فلو استبدلت تلك الألفاظ المنتقاة بغيرها، أو قُدِّم ما هو مؤخر منها أو العكس لاختل نظم الكلام.
- التناسب والتلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم يكون من حيث المعنى كما هو من حيث اللفظ.

- الفاصلة القرآنية علاقتها وثيقة بما قبلها من النص القرآني في الآية، والسياق هو من يدلي بتلك الإشارة الجلية لتلك الفاصلة.
- في الموضع الذي ورد فيه لله اسمان أو صفتان إنما يقدم منهما ما تدل عليه الآية وتشير إليه، والسياق به أعنى.
- كل اسم ورد في موطن ما، فإنه متمكن في موضعه لا يمكن استبداله بغيره من الأسماء حتى التي اشتقت من الأصل كالغفور والغفار وغافر..
- إن لكل اسم من اسمائه الحسنى معنى جليلاً، إلا أن تجاور اسمين معاً في السياق القرآني يضفي عليهما حسناً وجلالاً يليق بالمولى، ويمكن استنباط معاني أخرى لا تظهر من الأسماء المتفردة.
- بعض الأسماء التي تقدمت في موطن وتأخرت في آخر بعضها كان وجه المناسبة فيها جلية، وبعضها احتجب فيها وجه الحكمة فاحتاج إلى تبين وجه الحكمة فيها إلى تأمل عميق، مما أنتج تأمل دقيق للنص القرآني، وتدبر عميق.

التوصيات:

البحث لم يتناول جميع أسماء الله وصفاته في القرآن الكريم، إنما اقتصر على ما اقترن منهما، فجاء أحدهما في موضع مقدماً وفي موضع آخر جاء مؤخراً، كما اقتصر على ما انفرد منها واقترن بالعمل أو الفعل أو الصنع فتارة تتقدم الصفة على العمل أو الفعل أو الصنع والعكس.

وعليه: أوصي الباحثين تتمة البحث في أسماء الله وصفاته في ختام الآيات وإظهار النكات البلاغية والأسرار والظواهر واللطائف المتنوعة إما باستقراء ما جاء في كتب التفسير، وإما بالتأمل والتدبر للنص القرآني الذي لا يخرج عن طور القواعد التفسيرية.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إبراهيم أصبان. السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة. مجلة الإحياء، العدد: ٢٥، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٧م.
٢. إبراهيم بن عمر البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآي والسور.

بيروت، دار الكتب العلمية، ط(بدون)، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.
٣. إبراهيم مصطفى، وآخرون. تحقيق: مجمع اللغة العربية، بلد النشر.د، دار الدعوة، ط.د.
٤. أحمد بن الحسين االبيهقي. السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ط١.
٥. أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بلد النشر.د، دار الفكر، ط.د، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
٦. إسراء أحمد محمود. توظيف مفهوم السياق القرآني في التوجيه النحوي – دراسة في تفسير روح المعاني للآلوسي. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. عثمان رحمن حميد الأركي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة ديالى، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢م.
٧. إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.
٨. إسماعيل حقي. روح البيان. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون).
٩. إسماعيل يوسفي. السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢م.
١٠. تومان غازي حسين، خالد كاظم حميدي. التقديم والتأخير في محرمات النكاح في القرآن الكريم. مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد: ١٣، ايلول ٢٠١٣م.
١١. جلال الدين السيوطي. معترك الأقران في إعجاز القرآن - إعجاز القرآن ومعترك الأقران. بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.
١٢. الحسين بن محمد - الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط١،

١٤١٢ه.
١٣. ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي. دلالة السياق – بحوث علمية. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤ه.
١٤. سعيد أيوب. زوجات النبي. لبنان – بيروت، دار الهادي للطباعة، ط١، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م.
١٥. سيد قطب. في ظلال القرآن. بيروت – القاهرة، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢ه.
١٦. صلاح عبد الفتاح الخالدي. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. عمان، دار عمار، ط١، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م.
١٧. عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. نتائج الفكر في النحو للسهيلي. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م.
١٨. عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. نتائج الفكر في النحو للسهيلي. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م.
١٩. عبد الرحمن عبد الله المطيري. السياق القرآني وأثره في التفسير – دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. خالد بن عبد الله القرشي. المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م.
٢٠. عبد السلام أحمد الراغب. وظيفة الصورة الفنية في القرآن. حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.
٢١. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. (رسالة دكتوراه)، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ه – ١٩٩٢م.
٢٢. عبد الله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.
٢٣. عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي. حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي. ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ه –

٢٠٠١م.
٢٤. علي بن محمد بن حبيب البصري - الماوردي. النكت والعيون - تفسير الماوردي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط(بدون).
٢٥. عمر بن علي بن أحمد الشافعي - ابن الملقن. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تحقيق: مصطفى أبو الغيظ، السعودية – الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م.
٢٦. فاضل صالح السامرائي. من أسرار البيان القرآني. بلد النشر(بدون)، دار الفكر، ط١، ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م.
٢٧. فضل حسن عباس، وابنته سناء. إعجاز القرآن. عمان، دار النشر، ط(بدون)، ١٩٩١م.
٢٨. فهد بن شتوي بن عبد المعين. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى. (رسالة ماجستير)، بإشراف: د. محمد بن عمر بازمول، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م.
٢٩. كريم أحمد جواد التميمي، عدوية فياض علوان. بدائع التعبير القرآني وخصوصيته في أمثلة من الآيات القرآنية. مجلة الفتح، العدد: الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م.
٣٠. المبارك بن محمد الجزري – ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: ظاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي،، ط(بدون)، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
٣١. المثنى عبد الفتاح محمود. نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية. عمان، دار وائل، ط١، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م.
٣٢. محمد السيد عبد الرزاق موسى. الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير. (بحث) الأردن، جامعة الزرقا الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع.
٣٣. محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. تونس، الدار

التونسية، ط(بدون)، ١٩٨٤ه.
٣٤. محمد المهدي حمامي رفاعي. السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجاً. (رسالة ماجستير)، إشراف: د. مصطفى عثمان، جامعة حلب، كلية الآداب.
٣٥. محمد بن أبي بكر بن أيوب - ابن قيم الجوزية. بدائع الفوائد. تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، بلد النشر(بدون)، دار عالم الفوائد، ط(بدون).
٣٦. محمد بن أحمد بن الأزهري. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
٣٧. محمد بن عبد الله الزركشي. البحر المحيط في أصول الفقه. تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤١٣ه – ١٩٩٢م.
٣٨. محمد بن عرفة. تفسير ابن عرفة المالكي. تحقيق: حسن المناعي، تونس، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط١، ١٩٨٦م.
٣٩. محمد بن عمر بن الحسن - الفخر الرازي. مفاتيح الغيب. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م.
٤٠. محمد بن محمد بن مصطفى - أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – تفسير أبي السعود. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون).
٤١. محمد بن يوسف الصالحي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لبنان – بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.
٤٢. محمد بن يوسف بن علي - أبو حيان. البحر المحيط. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.
٤٣. محمد داؤد محمد داؤد. وإكرام زين العابدين الطيب. سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص. (بحث) دراسة تطبيقية في تفسير القرآن الكريم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد: ٦، فبراير ٢٠١٣م.

٤٤. محمد عبد الله علي سيف. دلالة السياق في القصص القرآني. صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ط(بدون).
٤٥. محمود أبو الفضل الآلوسي. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، ١٤٠٤ه.
٤٦. محمود بن عمر الزمخشري. أساس البلاغة. تحقيق: باسل عيون السود، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.
٤٧. محمود بن عمرو الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ه.
٤٨. محيي الدين النووي. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام. تحقيق: حسين الجمل، لبنان – بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م.
٤٩. نادية رمضان النجار. اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م.
٥٠. ياسر أحمد الشمالي. السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي. مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانون، الأردن، مج: ٢٨، العدد: ١، ٢٠١١م.